أسباب العجز والإنكفاء عن اللغة العربية:أسباب وحلول

أ. نعمت بوزيد

مقدمة:

لغة الضّاد من أبرز اللغات وأكثرها جزالةً في الألفاظ وقدرةً على استيعاب المعاني الجليّة، لغة فضفاضة واسعة المدى والبيان، وتُعرف على أنها المصطلحات والمرادفات التي دوّنها العلماء في المعاجم.وهي إحدى لغات العالم السامية والمنتشرة على نطاق واسع حول العالم، حيث أنّ هناك ٤٢٢ مليون نسمة من متحدّثيها، ويتركّزون بشكل كبير في الوطن العربي وبعض المناطق المجاورة.

تستمدّ اللغة العربية والثّقافة الإسلامية قوّتها من القرآن الكريم، لذلك يمكن القول أنها ربّانية التوجُّه والمصدر، فهي جزءٌ من حياة العالم بكامل أطيافه وأجناسه، لا يمكن أن يستغني أو نستضعف هذه اللغة ولا يُمكن التخلي عن أساس الإنسان وطبيعته وهي ثقافته الإسلامية، حيث أنها تصل الى مرحلة الشمول والتكامل والتوازن.

فلكل شعب ثقافته التي يتميّز بها عن غيره، وتنعكس هذه الثّقافة على لغة هذا الشّعب، فاللُّغة في أي مجتمع هي مرآة ثقافته، وهي الوسيلة التي تستخدمها الشعوب للتّعبير عن العناصر المختلفة للثقافة عاداتها وقوانينها وتقاليدها ومفاهيمها، فالتّكامُل بين اللُّغة والثّقافة على درجة كبيرة من ألأهمية وتبرز تلك الأهمّيّة بوضوح في مجال تعليم اللغات عامّة، وتعليم اللغة العربيّة على الخصوص.

تعريف اللغة:

لقد جاء في تعريف اللُّغة أنّها:

اللغة: اللسن، وهي فُعْلَة من لَغَوت؛ أي: تكلّمت، أصلها: لُغْوَة، وقيل: أصلها: لُغَيٌ أو لُغَوٌ، وجمعُها: لُغًى ولغات ولُغُون، وقيل: أُخذت اللغةُ من قولهم: لغا فلانٌ عن الصّواب وعن الطّريق، إذا مال عنْه؛ لأنّ هؤلاء تكلّموا بكلام مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين، وقيل: إنّها ما جرى على لسان كلّ قوم.

وقد قيل: إنّها الكلام المُصطلح عليه بين كلّ قبيلة، اختلف العُلماء في تعْريف اللُّغة ومفهومها، وليس هناك اتّفاق شامِل على مفهوم اللغة، ويرجع السّبب إلى ارتِباط اللغة بكثيرٍ من العلوم.

أوّل مَن عرف اللغة أبو الفتح عثمان بن جنّي في كتابه "الخصائص"، وقال: إنّ اللغة هي مجموعة من الأصوات يعبّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم.

وتتميّز كلّ لغة عن غيرها من اللُّغات بصفات جوهريّة تُباعد ما بينها وبين غيرها، فإن كانت الفروق يسيرةً لا تمنع التّفاهُم لم تؤدّ إلى فصْل، وهذا التّعريف قاصر لأنّه اعتمد على اللّغة اللفظيّة فقط وأهْمل اللغة غير اللفظية، كلغة الإشارة ولغة الجسَد وأهميّتها في التّواصُل بين النّاس.

ولِتلافي هذا القصور في التّعريف عرّفها بعض اللُّغويّين بأنّها: مَجموعة من الرّموز اللفظيّة وغير اللفظيّة يعبّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم.

وعرّفها بعضُهم بأنّها: مجموعة من الرّموز والمصطلحات متّفق عليها بين أبناء الوطَن الواحد، أو بين أبناء المجتمع الواحِد؛ لتكون وسيلةً لتبادُل المعرفة فيما بينهم.

وتمّ الاتّفاق على التّعريف الاصطلاحي كتعريف شامل للُّغة: اللُّغة عبارة عن نظام صوتي يَمتلِك سياقًا اجتماعيًا وثقافيًا له دلالاتُه ورموزه، وهو قابل للنُّموّ والتطوّر، ويخضع في ذلك للظّروف التّاريخيّة والحضاريّة التي يمر بها المجتمع.

أهمية اللغة:

مكانة اللغة العربية في الإسلام:

اللغة العربية من أسمى اللغات التي ظهرت في تاريخ البشرية، لما فيها من خصائص ومميزات حباها الله عز وجل بها واصطفاها واختارها لتكون وعاءً لأفضل كتبه سبحانه وتعالى..

واللغة العربية في الإسلام؟! وهل الحديث عن اللغة العربية يُعد نوعًا من أنواع التعصب لها أم أن لها مكانة عظيمة أعلى من غيرها من اللغات الأخرى؟!

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

كل اللغات التي وُجدت ونشأت على الأرض وأصبحت مفاتيح التفاهم بين المجاميع البشرية، تحظى بعناية اصحابها وكذا هو شأن اللغة العربية عندنا لكنها تزيد على أنها عبادة فممارسة اللغة عبادة والتعامل بهذه اللغة إحياءٌ لأصولها، وحرصاً على سلامتها مع استشعار هذه النية نوعا من أعظم العبادات ومما زاد في أهمية هذه اللغة وأهميتها في حياتنا أنها لغة القرآن الكريم وهي لغة الإسلام وترتبط في حياة المسلمين جميعا بأداء الشعائر فهي لغة تستمد عظمتها من مكانة اقرآن والإسلام والقاعدة الشرعية تقول "ما لا يتم الواجب به فهو واجب"، ولما كانت قراءة القرآن واجبة والتعرف على أحاديث الرسول ص واجبة والتعرف على قواعد العبادات والقواعد أموراً واجبة وكان لا يمكن التوصل إليها إلا باللغة العربيةكون لها درجة الوجوب نفسها التي تجب لكتاب الله تعالى وأحاديث الرسول ص ،ومن هنا كانت وما زالت اللغة العربية تمثّل لهذه الأمة هويّتها، واستمراريتها في الحياة ،وتمثّل كذلك عمقها الإيماني والروحي، وارتباطها التاريخي، فأنت لا تستطيع أن تميّز أو أن تفصل بين الأمة العربية ولغتها إلا إذا أمكنك أن تفصل بين الروح والجسد، فهي لغة تمتزج بكيان الأمة العربية وتستمد منها سيادتها وتميّزها وهويتها وعمقها الحضاري. بمعنى أنّ الأمة كما تستمدّ منها سيادتها وعزّتها وهويتها من دينها فإنها تستمدّ ذلك كلّه من لغتها لأنها هي أصل الدين أو كما يُقال:إنّ الدّين لم يُصغ إلا باللغة العربية، فكما تعهّد الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه الكريم فقد تعهّد بحفظ اللغة، فاللغة هي وعاء القرآن التي شملت القرآن والتي وعت أسراره وقواعده.

لهذا كان اختياري البحثي حولها، لا لأنها تحمل عجزا في تراكيبها وألفاظها، انما لان الناطق بالعربية يحملها اعباء ومسؤوليات التراجع الفكري والركود العلمي، هذا و يعضُد اختياري ما ألاحظه في الاوساط التي تنطق اللغة انَ السبب في التراجع لا يكمن في نفس اللغة بقدر من ينطق بها، وعليه سأحاول ان يكون في مباحثها:

- اولا: احترام العربي لهويته وللغته باعتبارها تمثل جزء من كيانه ووجوده.
- ثانيا: الدعوة الى تعلم هذه اللغة لان الانسان عدو ما يجهل، كأن تأخذ موقفا وأنت لا تعرفه امر، بل ان تتعرف الى اللغة ثم خذ الموقف الذي تريد.
- ثالثا: ارى انه من الواجب تقديم اللغة العربية بقالب جميل يليق بها وهذا ما نفقده في ايامنا الحاضرة.

أوّلاً: ماهية الهوية وعلاقتها بالكيان:

الهوية هو مصطلح يستخدم لوصف مفهوم الشخص وتعبيره عن فرديته وعلاقته مع الجماعات (كالهوية الوطنية أو الهوية الثقافية). يستخدم المصطلح خصوصا في علم الاجتماع وعلم النفس، وتلتفت إليه الأنظار بشكل كبير في علم النفس الاجتماعي. جاء مصطلح الهوية في اللغة العربية من كلمة: هو.

الهوية هي مجمل السمات التي تميز شيئا عن غيره أو شخصا عن غيره أو مجموعة عن غيرها. كل منها يحمل عدة عناصر في هويته. عناصر الهوية هي شيء متحرك ديناميكي يمكن أن يبرز أحدها أو بعضها في مرحلة معينة وبعضها الآخر في مرحلة أخرى.

الهوية الشخصية تعرف شخصا بشكله واسمه وصفاته وجنسيته وعمره وتاريخ ميلاده. الهوية الجمعية (وطنية أو قومية) تدل على ميزات مشتركة أساسية لمجموعة من البشر، تميزهم عن مجموعات أخرى. أفراد المجموعة يتشابهون بالميزات الأساسية التي كونتهم كمجموعة، وربما يختلفون في عناصر أخرى لكنها لا تؤثر على كونهم مجموعة.. فما يجمع الشعب الهندي مثلا هو وجودهم في وطن واحد ولهم تاريخ طويل مشترك، وفي العصر الحديث لهم أيضا دولة واحدة ومواطنة واحدة، كل هذا يجعل منهم شعبا هنديا متمايزا رغم أنهم يختلفون فيما بينهم في الأديان واللغات وأمور أخرى.

العناصر التي يمكنها بلورة هوية جمعية هي كثيرة، أهمها اشتراك الشعب أو المجموعة في: الأرض، اللغة، التاريخ، الحضارة، الثقافة، الطموح وغيرها.

أهمية اللغة ومكانتها في المجتمع العربي:

للّغة العربية دور عظيم في حياة الأمة العربية الإسلامية، فهي وسيلة الإنسان في التفكير، بها يتم التواصل والتفاعل بينه وبين أفراد مجتمعه، وهي أداته للتعبير عما يجول في خاطره من أفكار وما في وجدانه من مشاعر وانفعالات، كما أنها وسيلته للتعلم والتعليم.

والعربية وعاء للفكر والحضارة فلا يمكن الفصل بين اللغة وبين الفكر

والحضارة فهي تعبير عما في النفس وتحصل به الفائدة سواء كان لفظا أو خطاً.

واللغة العربية هي الوسيلة لحفظ التراث العقائدي والثقافي للأمة العربية الإسلامية، بواسطتها تنتقل الأفكار والمعارف من الآباء إلى الأبناء، لولاها لانقطعت الأجيال بعضها عن بعض ولاندثرت الحضارات والسير، فهي الخزانة التي تحفظ للأمة رصيدها الفكري وهي الجسر الذي تعبر عليه الحضارة عبر الأجيال.

جوانب أهمية اللغة:

- أهمّية اجتماعيّة: يتمّ من خلالها التّواصُل مع الآخَرين في المجتمع.
- أهمّيّة عقليّة: اللغة هي أداة التّفكير والثقافة للفرد.
- أهمية نفسيّة: يعبر بها الإنسان عن رغباته وانفعالاته، مثال ذلك الشعراء والأُدَباء الّذين يتغنّون باللّغة.
- أهمّيّة جماليّة: تفيد الإنسان في تذوق الأعمال الأدبيّة المختلفة من شعر ونثر.

يقول الفيلسوف الألماني فيخته: اللغة تجعل الأمّة الناطقة بها كلاً متراصًا حاضرًا لقوانين محدّدة، وهي الرابطة بين عالم الأجسام وعالم الأذهان.

ويقول "فوسلر": "إنّ اللّغة القوميّة وطن روحي يأوي من حُرِم وطنه علي الأرض.

ويقول مصطفى صادق الرافعي: "إنّ اللغة مظهر من مظاهر التّاريخ، والتّاريخ صفة الأمة، فاللّغة هي الصفة الثّابتة التي لا تزول إلاّ بزوال الجنسيّة وانسلاخ الأمّة من تاريخها".

فقد ظهر مع مجيء الإسلام مصطلحات كثيرة، ودلالات جديدة للألفاظ استلزمتها قواعد التّشريع وأصول تأدية الفرائض، وسائر الأحكام والأمور الدينيّة الّتي جاء بها الإسلام، كما في ألفاظ: القرآن الكريم، والإسلام، والصّلاة، والزّكاة، والتّكبير، والأذان، ومئات غيرها من المصطلحات التشريعيّة والدينيّة، التي أغنت اللغة كثيرًا في تلك الحقبة، وأنمت مفرداتها ودلالاتها.

مصطلح "الثقافة" وتحديد مفهومها:

تقابل كلمة "الثقافة" في اللغة الإنجليزيّة كلمة (Culture)، ويدلّ على هذا المصطلح الإنجليزي في اللغة العربيّة لفظان غير مترادفَين ولا قريبَين في الدلالة أو في الجذر اللغوي، حيث ترجم إلى ثقافة مرّة، وإلى حضارة مرّة أخرى، أو إلى اللفظَين معًا، فيقال: إنّ (Culture) هي الثقافة والحضارة، وإذا نظرنا إلى التراث العربي واللغة العربية لا نكاد نجد أصلاً يحمل دلالة هذا المصطلح، في المعجم الوسيط مثلا ورد كلمة ثقف: حذق وفهم، والثّقافة: العلوم والمعارف والفنون التي يطلب العلم بها والحذق فيها، بيد أنّ الحضارة من "تحضّر"؛ أي: تخلّق بأخلاق الحضر أو عاداتهم، وهي مظاهر الرقيّ العلمي والفني والاجتماعي في الحضر.

وعلى هذا النمط اختلفت تعاريف الثّقافة عبر العصور بين حرث الأرض والأدبي، فمثلاً في دراسات تتناول التّربية والإبداع، فالثّقافة هي ذلك الكل المركّب الّذي يشمل المعرفة والعقيدة والأخلاق والقانون والعادات، وكلّ القدرات التي يكتسبها الإنسان داخل المجموعة البشريّة، أو في المجتمع، وقد استخلص من مفهوم الثقافة أنّها تتكوّن من العناصر الثّلاثة التّالية:

- القيم والمبادئ والمعتقدات.
- الأنماط السلوكية.
- جزاءات جماعيّة للممارسة والتعامل.

يمكن القول بأنّ الثقافة هي نتاج مجموعة من العوامل المعنويّة والمادّيّة، وهي بالتّالي عملية لا تعرف الثبات؛ لأنّها مرتبطة بالإنسان الّذي لا يعرف الثّبات بدوره، فموضوع الثّقافة هو الإنسان حينما ينتقل من المرحلة الطبيعيّة إلى المرحلة الثّقافيّة، وهذا أخصّ ما يميّزه عن الكائنات الحيّة، ولعلّ الّذي يدعونا إلى اللجوء إلى الثّقافة هو حاجاتُنا إلى البحث عن المشترك الإنساني، وعن العنصر الجامع بين الإنسان.

ويركز المفهوم الأنثروبولوجي للثّقافة على هذا المشترك الإنساني بين المجموعة البشرية؛ لأنّه هو الّذي جعل الإنسان كائنًا متميّزًا عن سائر الكائنات الحيّة الأخرى، فالإنسان يسعى باستمرار إلى الاجتماع وتكوين مجتمعه، بل ويبحث دائمًا عن تغيير مجتمعه وتطويره.

الثقافة بهذا المعنى تقوم على بناء التّواصُلات وتحديدها تحقيقًا لاستمراريّة الإنسان، وبحثًا عن وضع أحسن لوجوده، ولتحقيق تلك التّواصُلات والبناءات المشتركة؛ لا بدّ من تحريك المشترك الإنساني في الثّقافة.

والمشترك الإنساني يقوم أساسًا على الحوار والحواريّة الّتي تميّز كلّ ثقافة، وإلاّ فقدت ثقافيّتها أو إنسانيّتها، الحوار

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الثقافي وفضاءاته في كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني، الدكتور محمد اللوزي، جامعة محمد الخامس، أكدال، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرباط.

التحديات في وجه الثقافة العربية الإسلامية:

بدأت الحملات الغربيّة توجّه إلى الثقافة العربية من خلال أرسخ الحصون وأقواها، وهو الإسلام نفسه، وقد حاولوا عدّة مرّات وما زالوا في الدّعوة إلى التّفرقة بين الدّين والقوميّة العربية، بل بين الإسلام واللّغة التي أنزل بها دستور الأمّة الإسلاميّة نفسها؛ أي: العربيّة.

ولقد واجهت اللّغة العربيّة أقسى ألوان التحدّي في سبيل القضاء على وحدتها، وتغليب العاميّات الإقليميّة عليها، وقد بدأت الحملة من منطلق مقارنة اللّغة العربية باللغة اللاتينيّة الّتي دخلت المتاحف، مخلية الطّريق للغات الإقليمية واللهجات المحلّية، وبالجملة فإنّ التّحدّيات الصّادرة من قبل هؤلاء المغربين والمستشرقين يمكن أن تشتمل وتتمثّل على هذه المحاولات التّالية:

١- المحاولة في إيقاف اللغة العربيّة عن النموّ في الأوطان الإسلاميّة، بما فيها الدول العربيّة وغير العربيّة، علمًا أنّها هي لغة الفكر والثّقافة والعبادة لدى هؤلاء المسلمين، الّذين قد يبلغ عددُهم حاضرًا ١,٤ مليار؛ (مقالة: يحيي توين مرتضى، أثر العربية في ثقافة المسلمين).

٢- المحاولة المتواصلة في استبدال العاميّة بالفصحى في كثير من البلدان العربيّة.

٣- السّعي في خلْق لغة وسطى بين العاميّة والفصحى؛ وذلك لإنزال مستوى الثّقافة العامّة إليها، وعزل اللّسان العربي والثّقافة عن مستوى القرآن الكريم من الفصاحة.

٤- المحاولة في هدْم دولة الإسلام والقضاء عليها، وقد سلكوا في تحقيق ذلك طريق تجْزِئة الأمّة الإسلاميّة وتفتيتها، فأثاروا النعرات الإقليميّة والقوميّات، وجنّدوا لذلك أعوانًا لهم داخل ديار المسلمين.

٥- محاولة الإغارة على حضارة الإسلام وثقافته؛ سعيًا وراء هدم عقائده وأفكاره، ونشْر الأفكار الغربيّة بديلا عنها.

٦- الغزْو الفكري عن طريق التّبشير.

اللغة العربية وأهميتها لبناء مجتمع قوي:

جاء الإسلام واللغة العربية على درجة رفيعة من الفصاحة والبيان في الشعر والنثر، بيد أنها في حدود قبلية ضيقة، ثم اجتباها الله لتكون لغة الإسلام ولسان القرآن الكريم، كما قال الله – عز وجل –: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ × نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ × عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ × بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (سورة الشعراء آية: ١٩٢-١٩٥)، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (سورة الشورى آية: ٧)، وبلغ الرسول – ص – رسالة ربه بهذه اللغة المختارة، وأعطي جوامع الكلم، ليكون رحمة للعالمين ومرسلًا للناس كافة.

وبذلك تجاوزت اللغة العربية حدود القبيلة والقوم وارتبطت بالإسلام فكانت لغة عقيدته وشريعته وخطابه إلى جميع البشر. وعلى الرغم من عدم فرض اللغة العربية على الشعوب الإسلامية ذات اللغات الأخرى إلا أنها انتشرت بانتشار الإسلام في بلاد الشام والعراق وما وراء النهر من بلاد فارس والهند والسند وأنحاء واسعة من القارة الآسيوية حتى وصلت إلى أرخبيل الملايو، وانتشرت في مصر وشمال أفريقيا وغربها ووسطها وجهات السودان وعلى السواحل وفي الجنوب، وكذلك تأثرت اللغات الأوروبية بها منذ بداية الصراع البيزنطي الإسلامي في الشرق، ثم القوطي (الأسباني) مع الإسلام في إسبانيا، وما أسهمت به الحروب الصليبية على مدى قرون من الزمان، وعبر الاتصال الحضاري بين الحضارة الإسلامية والغرب في الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا وبلدان البلقان.

وقد كتب كثير من الباحثين المحدثين من المستشرقين وغيرهم عن أثر اللغة العربية في اللغات التي دخلت معها في صراع لغوي وأنجزوا إحصائيات علمية مقارنة للمفردات العربية المبثوثة خلال تلك اللغات وأظهروا نسبة تأثيرها؛ وعلى سبيل المثال قال أحد الباحثين: (درست أثر العربية في اللغات الشرقية وأحصيت نسبتها وهي: في الفارسية (٦٧ و٦٠٪)، وفي التركية (٣٠ و٦٥٪)، وفي الأردية (٩٥ و٤١٪)، وفي التاجيكية (٣٩ و٤٦٪)، وفي الأفغانية (٩٩ و٥٦٪).

وعلى هذا المنوال لاحظ الباحثون في اللغات المقارنة تأثير اللغة العربية العميق في سائر اللغات المنتشرة في العالم

الإسلامي، وعللوا ذلك بتعليلات كثيرة ومتنوعة يأتي في مقدمتها الدين؛ ومهما كانت التعليلات فإن اللغة العربية حققت هذا الإعجاز؛ لأنها في المقام الأول حملت آيات القرآن الكريم المعجز إلى آفاق المعمورة، وصادفت الحفاوة والترحيب.

إن الإحاطة بمنزلة اللغة العربية ومميزاتها الأساسية التي عملت على قوتها وانتشارها من الصعوبة بمكان، ولكن نقتصر هنا على الآتي:

١. كون اللغة العربية ارتبطت بشعائر الإسلام وعبادته وغدت جزءًا أساسيًا من لغة المسلم اليومية وفي حياة الأمة الإسلامية؛ لأنها ملازمة للفرائض الإسلامية؛ فقد أوجب الإسلام أن تكون إقامة الصلاة وتلاوة القرآن وترتيله، والأذان، ومناسك الحج والدعاء، وسائر الشعائر الدينية، ونحو ذلك باللغة العربية. لكل هذا ارتقت منزلة اللغة العربية عند المسلمين، وتفقه المختصون في دراسة علوم العربية ووضع قواعدها في النحو والصرف، والبيان، والمعاني، وموازين الشعر، ورسم الحروف، والخط وغيرها، وألفوا فيها عددًا ضخمًا من نفائس الكتب، ومنهم العرب وغيرهم، ونشطت لذلك بوجه خاص في زمن باكر مدرستا البصرة والكوفة، فظهر في الأولى مثلًا أول معجم لغوي، وأول كتاب في أوزان الشعر، وأشهر كتاب في نحو العربية، منذ أكثر من اثني عشر قرنًا، وهو معجم العين وكتاب العروض للعالم الفذ (الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري) والكتاب لسيبويه.

٢. حركة التعريب التي بدأت في خلافة عبد الملك بن مروان، الذي بدأ يسك عملة عربية، وكانت الدواوين والأعمال الرسمية تكتب باللغة الإفريقية أو الفارسية أو القبطية حسبما تقتضيه الظروف المحلية فغير ذلك كله إلى اللغة العربية. ومما ساعد على ترسيخ اللغة العربية ونشرها حركة الترجمة التي بلغت أوجها في عهد المأمون.

٣. مميزات اللغة العربية الذاتية، فقد كسبت الصراع اللغوي الذي خاضته وهي تلازم انتشار الإسلام بسبب عامل جوهري هو أنها لم تكن لغة مستعمر غاصب ولا سلطان مستغل، وإنما كانت لغة الفطرة، لغة القلب والعقل، لغة الغيب والشهادة، لغة العدل والرحمة والمساواة والحق.

إلى جانب ذلك فإنها امتازت بخصائص فريدة كتب عنها كثيرٌ من الباحثين في اللغات، وكان من أبرز ما استنتجوه الآتي:

١. أنها اللغة التامة الحروف، الكاملة الألفاظ، لم ينقص منها شيء من الحروف فيشينها نقصانه، ولم يزد فيها شيء فيعيبها زيادته. واعترف بعض المستشرقين بهذه الخصيصة، إذ يقول (رينان): من أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرُّحّل، تلم اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها.

٢. لا تقتصر اللغة العربية على كونها وسيلة تعبير، وإنما تتميز اللغة العربية بأنها ذات مضامين علمية ومنهجية وموضوعية وحضارية، وتميزت في ذلك كله بالبيان والسهولة والوضوح على الرغم مما قد يبدو من صعوبة تعلمها في بادئ الأمر.

وخلاصة القول: إن اللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون، واللغة العربية شعار الأمة الإسلامية، وهي من أهم وسائل تميزها وهو ما أدركته الأمة وسار تاريخها في ضوئها وبهدي منها.

آثار العربيّة في الثّقافة الإسلاميّة عامّة:

إنّ المسلمين قد اهتمُّوا بضبط اللّغة وجمعها، وتحديد ألفاظها، وقد أدّى هذا الاهتمام إلى ظهور المعاجم اللّغويّة والنّحويّة والصّرف والعروض، وهي من العلوم الدينيّة بمنزلة الآلة؛ (محمد حسن، ٤٦، ٢٠٠٠).

وتأثيرها على ثقافة المسلمين يكون من أوجه متعدّدة، منها:

١- أسلوب التحيّة بالتّسليم وردّه.

٢- استخدام بعض مصطلحات عربيّة متعلقة بالدّين الإسلامي، كالصّلاة والحجّ والزّكاة، والمسجد والجنازة والدّعاء والنكاح والطلاق. كاد أن لا يوجد مسلم لا يفهم أو لا ينطق بتلك المصطلحات اللغويّة العربيّة، مهما كان ضعفه في العربيّة وإن لم يكن عربيًا.

٣- وأسلوب الكتابة بالأحرُف العربيّة عند بعض اللّغات المنتمية إلى الإسلام، كالفارسيّة والتّركيّة والمالايوية

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

والهاوسا والأورديّة، وغيرها من اللغات التي تعتبر لغات المسلمين.

٤- ومنها: قرض مفردات اللغة العربيّة إلى بعض تلك اللّغات المذكورة.

٥- العربيّة كوسيلة مهمّة في أداء العبادات المحتاجة إلى التلفُّظ، كالقراءة في الصلاة، والتّلاوة والتّلبية في الحجّ، والتلفظ بالأدعية والأذكار المأثورة وغيرها.

٦- وقد أثّرت العربية في القراءات القرآنيّة، من حيثُ إنّ لكلّ قراءة دليلها المقنع في اللغة، لاسيّما إذا كانت مثل هذه القراءة من القراءات الصّحيحة.

٧- ومن بين أوجُه تأثير العربيّة في ثقافتنا: نزول القرآن دستور المسلمين نفسه باللّغة العربيّة، وقد تكرّر الإقرار بنزول القُرآن بهذه اللغة العربيّة لحكمة التبيّن والتعقّل والتدبّر المحكم والتفصيل، فيما بلغ إحدى عشرة مرّة (فصلت: ٤٤، الرعد: ٣٧، الرمز: ٢٨).

مكانة اللغة العربية:

تمثل اللغة العربية قطاعا هاما في حياة الفكر العربي المعاصر، فهي القاعدة الكبرى التي قام عليها هذا التراث العظيم، والأداة الحية للأدب العربي، واللسان الذي يربط الأمة، وهي أساس قوى للوحدة بين أجزاء الوطن العربي، ولا شك كانت لهذه اللغة مكانة ضخمة بين اللغات، ذلك أنها لم تكن لغة عادية كاللغات في نشأتها وتطورها وامتدادها، بل كانت مخالفة للنواميس الطبيعية التي عرفت لمختلف اللغات، فقط ظهرت شابة مكتملة دون أن تمر بمرحلة طفولة أو تتعثر في طريق طويل، وكان نضوجها من الأعاجيب التي شغلت كل الباحثين والعلماء.

والأعجب من هذا أنها عاشت قرابة ألف وخمسمائة سنة وهي تؤدي مهمتها على نحو حي متحرك، تجاوبت فيه مع الزمن والتطور، تفردت حتى بين اللغات السامية باطراد الأوزان وقواعد التصريف وقواعد الإعراب.

وقد وهب الرسول ص اللغة العربية مرونة جعلتها قادرة على أن تدون الوحي الإلهي أحسن تدوين، يجمع دقائق معانيه ولغاته، وأن يعبر عنه بعبارات عليها طلاوة، وفيها متانة، وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى في التعبير عن المقاصد.

أسباب العجز والإنكفاء عن اللغة العربية:

لمّا كانت اللغة هي أداة التواصل بين أبناء المجتمع الواحد وبها يستطيع الفرد نقل ما لديه من أفكار ومعارف وحيث أنّها تُعدُّ وعاء تراث فكيف والحال مع اللغة العربية التي تُعَدُّ واحدة من مجموعة اللُّغات السّاميّة.

وهي تكتسب إضافةً إلى ذلك، صفة القداسة باعتبارها لغة القرآن الكريم علاوةً على ما ذكرناه من اشتقاقاتها وأنها تمتلك أوسع مدرج صوتي في جميع اللغات، غير أنّ هناك عوامل كثيرة تساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في إضعاف هذه اللغة التي تمتلك هذا الكمّ من الصفات والخصائص المميّزة.

في هذا الباب سنتطرّق إلى أهم الأسباب التي تُضعف اللغة العربية ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً:اللغة العامية: سيطرة اللغة التي نتداولها بشكلٍ يوميّ في حياتنا ويُسرها في التواصل والتعامل، كان سبباً خطيراً وكبيراً في الوقت عينه، أدّى الى أن تفقد اللغة شيئاً من قيمتها والذي بدوره يؤسّس إلى منحى لا بُدّ من الإنتباه إلى الخطورة التي تكمُن في تدنّي مستوى هذه اللغة، لأنّه مع الوقت ستحُلُّ بعض الكلمات العامية مكان الكلمات الفصحى بحجّة السّهولو واليُسر في النّطق واستخدامها يكون أكثر طواعيّةً من الفصحى.

ثانياً:الفكر الإستعماري:الذي يعتمد سياسة التجهيل وفرض لغته ما يؤدّي إلى تهميش اللغة العربية وخاصّةً في المناهج التعليمية ومحاولة إبعاد الكادر التعليمي عن ثقافته ومنعه من الإطّلاع على إرثه الثّقافي، ما يُربك الحالة التّقدّميّة في المجتمع إضافةً الى عدم توافُر التقنيات الحديثة في التعليم وعدم تفعيل الأساليب المتطوّرة التي من شأنها أن تخلق جوّاً تنافُسياً بين المتعلّمين لينكبّوا على استخدام القواعد والضوابط السليمة التي تُعيد للّغة قيمتها ورونقها ورُقيّها كما هو مفروض.

ثالثاً:طريقة تقديم اللغة:تقديم اللغة بأسلوب غير جدير بها، كأن يُلبسوها لباساً لا يليق بجمالها، كأن يُلبس منّا سيّدة جميلة جداً لباساً لا يليق

بجمالها، وهكذا عندما تُقدّم اللغة بقوالب لا تليق بأهمّيتها وجمال دلالاتها وتراكيبها وألفاظها ،لتُلفت نظر المتلقّي لينكبَّ على تعلُّمها والأخذ منها والإستفادة من جماليّتها.

رابعاً:التراجع في الإهتمام بالدين:إنّ عدم الإهتمام بالدّين والتّراجُع عن مبادئه وقِيَمه وما لكتابه المقدّس"القرآن"من منزلة ودور عظيم في إدارة شؤون الفرد.هذا القرآن وما فيه من أحكام وقوانين توجّه حياة الفرد نحو الأفضل وتُخرجه من الظُّلمات إلى النّور، ولغته هو العربية والتي أُنزل بها وهي لغة الأدب والإعجاز بامتياز بما يُميّزه من قوّة المعنى وجزالة المُفردة، لذلك يُعاني الكثير ممّن يقرأون القرآن في ضُعف في القراءة والقدرات التعبيرية في فهم المقصود من الآية وما تحمله من معانٍ تضمُّنيّة وعميقة لا بُدّ لمن يقرأ هذه الأحكام والقوانين من أن يكون متمكّناً من لغته وقادراً على فهم الآيات والسُّور بشكل جيّد ومناسب.

خامساً: لغة النّت: لغة أنّت وما فيها من مُغريات في السّهولة والأداء ما يُثير الرّغبة في اعتمادها كبديل عن اللغة العربية لأنّها قصيرة، بسيطة، سهلة، يسيرة، باستطاعة أيّ كان استخدامها والتعبير بها وهي المتداولة والإسراع الى الفهم والقصد من اللغة العربية الفصحى، بما تملك من إشارات ورموز تكون بديلاً عن الكلمة، ممّا يُسهّل على المُتلقّي الإستخدام والإستعمال.

سادساً: انتشار الأميّة: انتشار الأميّة عند الكثيرين والجهل في إدراك الضوابط والقواعد لهذه اللغة وهي بلا شك تتطلّب جُهداً وفهماً لا بُدّ أن يكون لائقاً بها، لذلك يجنح الأكثر الى اللغة الأكثر سهولة ويُسراً من اللغة الفصحى.

ثامناً: صعوبة المطالب:لا بدّ من الإشارة الى سبب بقَدَر ما هو خاصّيّة باللغة العربية الفصحى أنّها تحتوي على مجموعة من العلوم كالصّرف والنحو والمعاني والعروض وغيرها، وكلّ هذه العلوم تحتاج الى جُهد في فَهمها وهضمها بالشّكل الجيّد والتي لا تُعتبر مَطلباً صعباً.

قد يكون قد فاتني جملة من الله أن يُوَفّقني في القادم من الأيام لذكر أسباب أُخرى من عوامل مُساعِدة في إضعاف هذه اللغة والإنكفاء عنها.

الحلول المُقترحة :

علينا قبل كلّ شيء أن نعترف بأننا أحد أسباب تأخُّر وضعف هذه اللّغة، كيف؟؟

- عندما نُعيد احترام اللغة باعتبارها الهويّة الأساس للنا ثم نعترف بأنّنا نحن مَن أساء الى هذه اللغة سواء باستعمالها أو بتهميشها أو بتفضيل لغات أُخرى، أو باستخدام لغات بديلة،يكمُن الحلّ بأنّه يجب علينا إعادة الإحترام لهذه اللغة.
- علينا السّعي والسّهر لوضع مناهج وطُرُق جديدة من شأنها أن تُعيد وتُثير الرّغبة في المُتلقّي.
- علينا أن نُثير الغيرة في نفوس أبناء مجتمعنا على لغتنا الأم.
- لا يُمكن للعربية أن تنمو وتتطوّر كما نريد لها جميعاً إلا بإدخالها في مجال تعليم التقنيات والعلوم الدقيقة وفي التعليم العالي على الخُصوص.
- إنّ ازدهار اللغة العربية لن يتحقّق إلا عن طريق الإهتمام بها، والعمل على تطويرها وتعليمها وانتشارها، وتلك مسؤولية لا تقتصر على الأفراد، بل هي مسؤولية المجتمع العربي الإسلامي بأكمله، على المستويين: الشّعبي والرّسمي، إذ إنّها الهويّة الوطنية والقومية، والنهوض بما يُحقّق مفهوم الإنتماء لهذه القوميّةالتي تربط الحاضر بالماضي، فمن ليس له ماضٍ ولا حاضر ولا مُستقبل له.
- تلافي جوانب الضّعف والقصور في برامج إعداد معلّمي اللغة العربية، والعمل على رفع مستوى أدائهم المهني، وصقل مهاراتهم التعليمية، وزيادة معارفهم، والتفاعل مع مُنجزات العصر ومواكبتها، وتوظيفها في تعليم اللغة العربية وهو ما يعني أنّ ازدهار اللغة العربية وزيادة فعاليّتها رهن الإرتقاء بمستوى أداء المعلم، والنّهوض بالمهنة التي ينتمي إليها، حيث تُعَدّ كفاءة المعلم هي المسؤولة عن إرساء سمة التجديد والتغيير، وذلك عن طريق تأهيل معلّمي اللغة العربية بشكل يخدم اللغة ومتعلّميها على أسس تربويّة مُعاصرة.
- دخول العربية الى عالم المعلوماتية وشبكات التواصل والتّمكُّن من كيفية توظيف الأجهزة الحاسوبية في مجال تدريس مواد اللغة العربية.
- القيام بدراسات وبحوث علمية، لإيجاد علاج للزحام اللغوي المحلّي والأجنبي

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

للّغة العربية.

- الإهتمام بوسائل الإعلام والوسائط التكنولوجية الحديثة، وتفعيل دورها في نشر اللغة العربية وثقافتها، ونخص بالذكر القنوات التلفزيونية والإنترنت، ووسائل التواصل الإجتماعي، والإستفادة المُثلى منها في تثقيف المتعلّم وتلقينه اللغة العربية في المدارس والجامعات والحياة بشكل عام وقيامها بدورها.
- تعزيز دور المجامع اللغوية العربية ودعمها مادياً ومعنوياً وتفعيل دور المؤسسات التي ينبغي أن تكون معنيّة بتطوير تعليم العربية في المدارس والجامعات والحياة بشكل عام.
- تعزيز جانب الترجمة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات.
- ضرورة استخدام اللغة العربية كلغة رسمية في المؤسسات والدوائر الرسمية.
- تفعيل القوانين والتشريعات الصادرة في الكثير من الدول العربية بخصوص اللغة العربية.

الخاتمة:

لمّا كانت اللغة على هذا القدر من الأهمية، كان لا بُدّ من السّهر والجُهد لتعيين نقاط الضعف والتفكير في وسائل لتخطّي العجز والضّعف، وبعد تمحيص وبحث وجدتُ أنّه لا بُدّ من ذكر هذه الحلول، والإنسان دائما يجب أن يبقى على تواصل و تحديث الوسائل التي تساعد للخروج من مشكلة ما وعليه كان هذا البحث كخطوة الأولى للألف ميل، وأتمنّى لمن يُهمُّه أمر اللغة أن يُشارك في وضع الحلول والعلاج لهذه المشاكل التي تهدّد الإنسان في هويّته وكيانه ووجود

لغتنا العريقة تستأهل منا المحافظة عليها والتّمسُّك في المحافظة عليها ورفع شأنيتها من جديد فالعالم كلّه يسعى لتعلّمها في الوقت الذي نسعى فيه الى التعلّق باللُّغات الأخرى متذرّعين بالتّحضُّر ومجاراة التطوُّر.

المصادر:

مكانة اللغة العربية في الإسلام:الأستاذ الدكتور حمدي فتوح والي، الفكر التربوي، عمان دار المسيرة للنشر والتوزيع.

اللغة العربية ومكانتها الإسلامية في الثقافة العربية، رقم العدد١٠٨٢، الموضوع أدب وثقافة

القرآن الكريم (بعض الآيات والشواهد)

اللغة بين المعيارية والوصفيّة،مكتبة الأنجلو المصرية /القاهرة

العربية ولغة التدريس وإصلاح التعليم، ضمن المسألة اللغوية في المغرب والعالم العربي، عالم التربية، منشورات عالم التربية العدد٢٦

مواقع مختلفة في الأنترنت:مقال تحت عنوان:أسباب الضعف في اللغة العربية

ازدهار اللغة العربية آليات وتحدّيات، أعمال الملتقى الوطني/الجزائر

إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية/ماليزيا:دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة.

اللغة العربية لغة القرآن ورسالة الإسلام ؟لعلي الشابي

اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي/مازن مبارك